

القلب ممتنعاً فيه الاحساس . ومحال ان يكون الامر كذلك في التمثيل لان السنن
 في البيت ليست بشيء يترأى في العين فيشبهه بالنجوم ولا ههنا وصف من
 لاوصاف المشاهدة يجمع السنن والنجوم ، ولذلك لا تجيء طريقة العكس في
 تمثيل على حدها في التشبيه الصريح وانها إذا سلكت فيه كان مبنياً على ضرب
 من التأول والتخيل يخرج من الظاهر خروجاً ظاهراً ويبعد عنه بعداً شديداً . قال
 في تأول البيت : « انه لما شاع وتعرف وشهر وصف السنن ونحوها بالبياض
 الاشراق والبدعة بخلاف ذلك كما قال النبي — صلى الله عليه وسلم — :
 « أتيتكم بالحيفية البيضاء ليلها كنهارها » وقيل : « هذه حجة بيضاء » وقيل
 للشبهة وكل ما ليس بحق « انه مظلم » وقيل « سواد الكفر » و« ظلمة الجهل »
 يخيل ان السنن كلها جنس من الاجناس التي لها اشراق ونور وايضاض في
 العين ، وان البدعة نوع من الانواع التي لها فضل اختصاص بسواد اللون
 فصار تشبيهه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع على قياس تشبيههم النجوم
 في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب أو بالانوار واثلافاً بين النبات الشديد
 الخضرة ^(١) وهذا هو الفرق بين التشبيه المقلوب والتمثيل المقلوب ، فالاول
 لا يحتاج إلى تأول والثاني يحتاج إلى تأول وتخيل .

وتأتي بلاغة التمثيل من ان المزية فيه أبدأ تقع في طريق اثبات المعنى دون
 المعنى نفسه كما في قوله : « اراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى » فهو أبلغ في
 اثبات التردد له من ان يقول : « انت كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى » ^(٢) .

وليس في هذا التعليل ما يضاهاه حديثه عن التمثيل واسراره في كتابه
 « أسرار البلاغة » وقد وفق هناك وأبدع في تبيان المزايا والخصائص مما لا نجده
 في كتاب بلاغي قديم .

(١) أسرار البلاغة ص ٢٠٧ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٥٧ - ٥٨ ، ٣٤٤ .